89052
٤٢٥
مكتبة
عبدالجليل نوران
رقم

أحمد حسن الباقوري

الأسرة في الإسلام

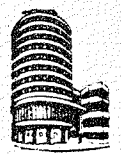

● الغـــلاف

● بريشة الفنان الأستاذ حسين بيكار

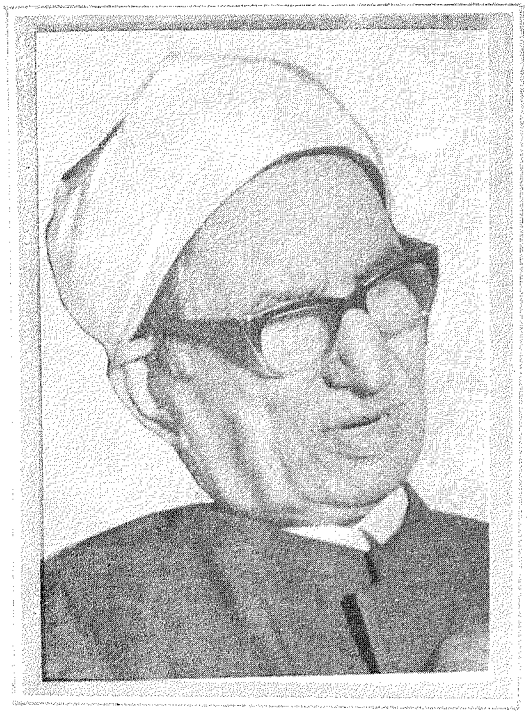

الاســـلام و الأســـرة

بين يدى الكتاب

اللهم لك الحمد الذى لا يجبُ إلا لك ولا يليق إلا بك ، حمداً يُديمُ لأهل الأيمان عِزّ النعماء ، ويُنيمُ عنهم ذُلّ البلاء ، فإنّا لا نحصى ثناء عليك أنت ـ سبحانك ـ كما أثنيتَ على نفسك .

اللهم وإليك الضراعة أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد .

ثم أما بعد ، فهذه كلمات عن الأسرةِ فى ظلِّ الإسلام ، وجميل رعايته لها وعنايته بها ، رأينا من الخير لها وللناس بها ، أن يحملَها إليهم كتاب بدلاً من مقالٍ فى صحيفة أو بحثٍ فى مجلة ، إذ كان الكتابُ أطول عُمرًا وأصدق خبرًا وأقدر على أداء الأمانات من الصحف والمجلات .

وأحسبُ أنك ـ حفظك الله ـ لن تضيق بنا إنْ نحنُ مضينا على طريقتنا فى العناية بلغتنا العربية الشريفة حِيال بعض الكلمات ، كلّما دعت إلى ذلك حاجة ، وامتهدت إليهِ سبيل .

وأول ما يقتضى حقهُ من البيان فى هذا المجال ، كلمة « أسرة » فإن بناءها اللُّغوى ، موصول الأسباب بمعناها الشريف فى كِيان الأممِ والشعوب .

وجملة الأمرِ فى ذلك ، أن كلمة أسرة تتألف من أصولٍ ثلاثة هى : الهمزةُ ، والسين ، والراء . فحيثُما اجتمعت

هـذه الحروف الأصول فى كلمة ، فإنها تشيرُ إلى القوةِ والضبط .

تقولُ العربُ : عن الرجلِ القوى : لقد شد الله أسر فلان ، تعنى أنه قوّى إحكام خَلقِه . وفى المأثور عن داود ـ عليه السلام ـ أنه كان إذا ذكر اللّه ، وتمثل عقابه للخاطئين ، تخلعت أوصاله ، لا يشُدُّها إلا الأسْرُ والعَصْب ، حتى لا يكون مسترخيًا متفسخًا .

وفى الآية من سورة الإنسان ما يدل على القوة والشدة فى كلمة الأسر : « نحن خلقناهم وشدَدْنا أسْرَهُم وإذا شئنا بدّلنا أمثالهم تبديلا » .

يقول تعالى إنّا شددنا توصيل عظامِهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب . وإذا شئنا ، أهلكناهم وبدلنا أمثالَهم . فالمعنى أننى سوَّيتُ خلقَكَ أيها الإنسان وأحكمتهُ بالقوى ، ثم أنت تكفُر بى . ولو أننى شئتُ ، لأهلكتُك وجئتُ بأطوعَ لى منك .

والقوة التى تشير إليها كلمة « الأسرة » فى اللغة ماثلةٌ على غاية الوضوح فى المعنى الإصطلاحى للأسرة ، فإن من الأمور

البديهية أن الرجلَ قليلٌ بنفسه كثيرٌ بأسرته ، وعلى قدر ما تكون أسرته قوية فى بنائها ، يكونُ إعتزازه بها ، وإطمئنانه إلى الحياة فى ظلها . ومن هنا رأينا أهل الشرف فى الجاهلية العربية يحرصون أشد الحرص على الإستكثار من الأبناء ، حتى لقد نذر عبد المطلب جدُّ سيدنَا رسول الله لأبيه ، أنه يتقرب إلى الله بذبح أحد أبنائه إذا اكتمل له عشرة نفر يمنعونه ممن يأتمرون به أو يعتدون عليه .

فلما بلغ بنوه تمام العشرة ، وعرف أنهم سيمنعونَهُ من عدوِّه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه قائلين له : كيف نصنعُ يا أبتاه ؟ .

قال عبد المطلب ليأخذ كل رجل منكم قِدْحًا ـ قطعة من خشب ـ ثم يكتبُ عليها إسمَه ، ثم إئتونى بأقداحِكم هذه ؛ فامتثل الأبناء أمْرَ أبيهم ثم أتوْا إليه ومع كلٍ منهم قدْحة عليه إسمُه ، فدخَل بهم على كبير الأصنام فى جوف الكعبة وإلى جانبه السادن ، فأخبرهُ بنذره ، وطلب إليه أن يضع الأقداح فى المخلاة ثم يُهزّها حتى يختلط بعضها ببعض ، ثم يأخذ بيده قدحًا منها ، فيأتمرُ بأمره ، فإن أمرهُ بالذبح ، ذَبح وإلاّ امتثل

ما يأمرهُ به ، ولكن عناية الله وعظيم فضله على عباده ، إستبدلت بذبح عبد الله والد سيدنا رسول الله ذبح مئةٍ من الإبل ، وذلك لكى يجيء من ذلك الصلب الكريم محمدٌ رسول الله وفيض رحمته للعالمين ، وقد نحر عبد المطلب تلكم الإبل المئة ، وتركها لا يُمنع عنها من يُريدُ شيئًا منها .

ولست تَرَاكَ محتاجًا إلى من يبين لك مصدر القوة فى الأسرة ، وإن يكن ثقات أهل اللغةِ قد عرّفوها ، بأنها أقارب الرجلِ من قبلِ أبيه . ذلك أن الرجل ، يتقوّى بأقاربهِ هؤلاء ، ويمتنع بهم من أن يعتدى عليه غيرُه ، بما يسىءُ إليه ، فى نفسٍ أو عرض أو مال ، فكذلك قال الشاعرُ العربى « قُريط بن أُنيف » وقد إنتهب بعضُ العرب إبلَه :

لو كنت من مازنٍ لم تستبح إبلى
بنوا اللقيطة من ذُهلِ بن شيبانا
إذًا لقام بنَصرى معشرٌ خُشُنٌ
عند الحفيظة[1] إن ذو لوثةٍ [2] لانا

(١) حفيظة : الحمية والغضب . (٢) لوثة : الضعف والاسترخاء .

لكنَّ قومى وإن كانوا ذوى عددٍ
ليسوا من الشرِّ فى شىءٍ وإن هانا
يجزُون من ظلم أهل الظلم مغفرةً
ومن إساءةِ أهل السوء إحسانا
كأن ربّكَ لم يخلُقْ لخشيته
سِوَاهمُ من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهمُ قومًا إذا ركبوا
شنوا الإغارةَ فرسانًا وركبانا

****

فهذا شاعرٌ من قومٍ تجمعهم جامعةٌ من قرابةٍ وعصبية يغضبون له إذا غضب ويحمونه ممن يعتدى عليه ، ولكنهم لم يؤدوا له حقه عليهم ، كما هو شأن الأسر دائما أن تحمى المنتسبين إليها واللائذين بها . فلما لم يقضوا حقه ويحموا زماره ، هجاهم هذا الهجاء الأليم ، ساخرًا بهم متمنياً أن يُبدل الله بهم قومًا خيرًا منهم فى قيامهم بحق القرابة وإحترامهم لأخلاق العروبة .

هذا . ولما كانت الأسرة هى اللبنة الأولى فى كِيان الشعب ، حاطها الإسلامُ بكلِّ ما يمدُّها بالقوة والمَنعَة ، فإذا الشعوب بها عزيزةُ الجانب يخشاها العدو ويرجوها الصديق . وغيرُ ذى حاجةٍ إلى بيان أن الأسرة فى الشعب ، كالشعب فى الأمة ، إذ كان الشعبُ مجموعة أُسَر ، وكانت الأمةُ مجموعة شعوب ، فكما أن الشعب يقوىٰ بقوة الأسر ، كذلك الأمة تقوىٰ بقوة الشعوب ، لا يجهل هذه الحقائق من يستعرض أحداث التاريخ وهو يتمثل حقائق الحاضر .

وغيرُ ذى حاجة إلى بيان ـ أيضًا ـ أنه لا بد من تبيان المعانى الشريفة التى حاط الإسلام بها الأسرة ، حياطة تحتاج إلى شىء من التفصيل ، فنقول وبالله المستعان ، وعليه التكلان فهو حسبنا ونعم الوكيل .

أحمد حسن الباقورى